اسمی المبادی لحریه الانسان فی القرآن

از : دکتر محمد فاضلی

ان هذا القرآن یهدی للتی هی اقوم (۱).

لقد احسن الاستاد علیّ الجندیّ حینما قال فی القرآن :

یا حجـــةً . . . تاییـــــداً لصفـــوتـه مـن خلقـــه ،والعوادی حـــولَـــه زُمَـــرُ
لکل عصـــــر مضـی شـــرع یناسبـــه وشـــرعک السَّمـــحلا ینبـــوبـــهعُصُـــرُ
کأنّـــه الشمس لا تفنـــــی اشعتهـــا مـــدی القـــرون ،ولا تبلی لها صُـــوَرُ
کأنّـــه القمرالمرمـــوق منظـــــره لکل یـــوم جمـــال فیـــه مُـــدَّخَـــرُ
مـــا انت ، لله فینا ، غیـــــر مادبة دعـــا الیهـــا ، فلبـّـی البـدووالحَضَرُ
العلم والفـــنّ بعـــض مـــن اطایبها والدیـن والخُلْق والاحـــکام والسِّیَرُ(۲)

القرآن کتاب ا . . .الذی انزله علی رسوله لیکون للناس شرعة و منهاجا ، ونوراو سراجا ، فهو دستور الحکومة الاسلامیة الاعلی و قانون نظامها الاسمی ، "إنْ هوإلّا وحـی یوحی ، علّمه شدیدالقوی (النجم/۵ـ ۶)

هذا الکتاب تناول شوون الامة الاسلامیّة و مصالحها فی دینهم و دنیاهم ،ذلک لأنّ الاسلام دین و دولة او عقیدة و نظام ، فلا تنحصر رسالة الاسلام بتنظیم العلاقه بین الانسان وربّه و تبیین مسائل الاخرة فقط. والذین یظنّون أنّ الاسلام عقیده لاغیر ، ولا تدخل له فی النظام و السیاسة ،إنّما هم جهّال لا یعرفون الاسلام ولا یعلمون منه شیئا ،اوهم اغبیاء لا یفقهون حقیقةالاسلام ، او عملاء یخدمون مصالح الاستعمار واعداءالدین .

واجهل من هولاء . واشد غباوة هولاء الذین یظنّون أنّ مصلحـــة المسلمیـــن تقتضی المحافظة علی الاسلام بصورةالعقیدة لا بصورة النظام والدولة .

ألا یفکرهولاءالقوم أنّ العقاعد والمبادی الاسلامیة لا یمکن ان تعیشَ و تنتشرإلّا فی ظل النظام الاسلامی الذی جاء بهالقرآن ؟ألا یَرَون أن القرآن کماتکلم عن ا . . .وملائکتـه و کل مایتعلق بالاخرة ،تکلم عن البیع والشراء ، والزواج والطلاق ،والحکم والقضاء ،وسائر شؤون النفس البشریه فی حیاته الیومیه و دنیاهُ ، سواء اتصلت بالافراد او الجماعات ؟

إنّ تعالیم الاسلام علی عکس مایراه هولاء الشرذمة المغفّله تناولت مسائل الدنیا

الآخره،ووضعت لهذه و تلك قوانين و نظما الزم المسلمين با تباعها ، وذلك لان الاسلام كما قلنا عقيدة و نظام .

فالإسلام من حيث أنه عقيدة و دين تناول الايمان با . . .وملائكته و كتبه ورسله واليوم الاخر ،و مسائل العبادات . و اما من حيث انه نظام فهو رَسْمَ للانسان منهجه في أمور الدنيا من الناحية الأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة ، والزمه باتباعه والاخذ به .فنرى أن الاسلام تناول جميع مرافق حياة المسلم في تفكيره و نيّته ، قوله و عمله ،سرّه وجهره ، قيامه وقعوده ، نومه ويقظته ، طعامه وشرابه ، ملبسه و حليته ، بيعه و شرائه ، حكمه و قضائه ، غضبه و رضائه .

وكذا نرى أن الاسلام رسّم للانسان طريقه كائناً من كان : فقيرا اوغنيا ، صغيرا او كبيرا ، حقيرا او عظيما ، وارشده في صداقته و عداوته سِلْمِهِ و حربه ، و سيطر عليه فردا او جماعة ، حاكما او محكوما ، مالكا اوصعلوكا . فليس للمسلم اختيار فيما فرض . . .من نظم دنيوية كنظم الميراث والزواج والطلاق والبيع والشراء و غيرها ، فليس له مخالفتها او تغييرها كيفما يشاء ، فهومكلف بان ينهج في اموردنياه المنهج الذى شرعه الاسلام له (٣) .

و فيما يلي أتناول أهمّ المبادى وارفعها الذى سنّه القرآن فيما يتعلق بحياة المسلم في دنياه فيعد منهجا قويما في دولته و حكومته ، وادرس ذلك المبداء على ماتيسرلى في هذا العرض الوجيز والمجال الضيّق :

"التوحيد" معراج التحرير

لعلّ القارى هاهنا لا يوافقني على ان اضع "التوحيد" بين المبادى التي تتعلق بحياه المسلم في دنياه ، ظانا ان مسألة "التوحيد" من صميم المسائل الاعتقاديّة التي تدور حول علاقة العبد بربّه و اتصاله به فقط، لكن اقول : إنّ "التوحيد" كما هوالحجر الاول في الاعتقادات والعبادات ، كذلك هوالأسّ والبينان لكثير من مصالح الانسان في حياته الشخصيّة والجماعيّة ، كالتحرير .

الانسان لن ينال حريته المنشوده مادام لم يحطّم سيطرة الاوهام على نفسه ، و مادام لم يقض على السلطات التي تتحكم في قلبه ، ولن ينال كرامته و عزّته مادام لم يضع عنه إصره الذى يرزح تحته من التعلق والتمسك بالمؤثرات الكاذبة . فالانسان لم يفارق العبودية متى استعبدته مطامعه واوهامه و شهواته وآماله و طواغيت الجن والانس ، واستولت عليه و ساقته إلى الذل والهوان و شفا حفرة من النيران .

فلا تصدّق ما يذاع و ينفخ به في الأبواق و يضرب به على الطبول من أنّ الانسان نال اليوم في بعض الجوامع المتحضرة حريته المنشودة ، "فقد احتملوا بهتانا" واثما "مبينا (٤)".

نعم ان الانسان في تلك الجوامع حرّ في ان يكفر با . . . والاديان كلّها يعمى عن الفطرة و سنّة الكون ، ويجرى وراء شهواته خبط عشواء ، و حر في ان يقول اليوم : ان الارض تدور اولا تدور ، وانه يوجد في الكواكب الاخرى حياة اولا توجد مما لا يمسّ منافع ظالم ، ولا يهدّد مصالح قوىّ ، ولا يزعزع عرش خاكم ، اولا يثير فقيرا ولا يبعث ضعيفا . ولكن هل معنى ذلك ان الانسانية قد قضت على التعصّب ، وان العقل قد اصبح حرّا طليقا كما يشاء و يقول ما يشاء ؟ وهل الانسانية استطاعت ان تحطّم ما استولى على قلب افرادها و تطلق سراحهم و تخرجهم من زنزانة الاوهام الى النور حتى تحلّقوا في آفاق غير متناهية ؟ ولا شك أنّ الجواب على ذلك ليس مثبتا (٥).

الانسان متى تعلق قلبه بشئ واصبح اسيره صار عبدا "لذلك الشئ" ، فمن علق قلبه بالمخلوقين لينصروه او يرزقوه اويهدوه ، خضع قلبه لهم و صار فيه من العبودية بقدر تلك العلاقة كائنا من كان ، فاذا كان امير الهم اصبح في الحقيقة عبيدا فيهم ، لان العاقل ينظر الى الحقائق لا الى الظواهر . فطالب ارئاسه والعلو في الارض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ، فهو في الظاهر مقدّمهم والمطاع فيهم ولكنه في الواقع عبد مطيع لهم ، لانه يرجو هم و يخافهم ويبذل لهم الاموال والولايات طمعا في حمايتهم ، ويعفو عن جرائمهم رجاء في اطاعتهم و معونتهم ، فاذن يظهر صحة ماقاله ابن تيمية :

"فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب (٦)"

فالحرية المنشودة للانسان لا تتحقق إلا في ظلّ سياسة الإسلام و تشريع مبدأ التوحيد ، و هدى هذا النداء العام في القرآن : " تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ ا . . . ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون ا . . . (٧)".

فهذا النداء الربانى كما قال الاستاد المودودى : تحرير العقول والافكار وجميع المواهب البشريه من القوى العقليه والماديه من اغلال العبوديه والسطات ، و ضمان للحريه البشريه الحقيقه (٨).

والايات الواردة في القرآن حول التوحيد ونفى السلطة على النفوس اشهر من أن تذكر واكثر من ان تحصر ، ومع هذا فلا باس ان نأتى بطائفة منها هاهنا :

- " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ، ان اعبدوا ا . . . واجتنبوا الطاغوت (٩)".
- " قل من ذا الذى يعصمكم من ا . . . ان اراد بكم سوء ، اواراد بكم رحمة ،

ولا يجدون من دون ا . . . وليّا ولا نصيرا (۱۵)".

ـ "ان الذين تدعون من دون ا . . . عبادا مثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (۱۱)".

ـ وانا لنحن نحيي و نميت و نحن الوارثون (۱۲)".

ـ " قل لا املك لنفسي ضرا نفعا الا ماشاء ا . . . (۱۳)".

ـ " افتعبدون من دون ا . . . مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم (۱۴)".

ـ الذي خلقني فهو يهدين ، والذي يطعمني و يسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين (۱۵)".

ـ "ولا تدع معا . . . الها آخر ، لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون (۱۶)".

لما كان التوحيد تحريرا للنفوس ، و ضمانا لكرامة الانسان ، و كمالا لعـــــزته و شخصيته ، و رجوعا الى فطرته النقية كان الغاية الا ولى من رسالة الانبياء ، و كان اول واهم مبداء في نظام الاسلام و سياسة القرآن ، بحيث ان المبادئ الاخرى ترجع اليه في المآل و تستمدّ قوتها منه في الحقيقة.

ان مبدأ "التوحيد" يعدّ في الحقيقه معراج تحرير الانسان ، والذروه الا علـى لعزته و كرامته ، ويترتب عليه آثار بهيّه و فوائد جليّة ، و تقوم عليه منافع عظمية و مصالح قويمة تعود الى حياه الانسان في دنياه و نظامه في مجتمعه .

ـ فمنها ـ تطهير النفس من الاوهام الفاسدة و تنزيهها من الملكات السيئـــــه فيحس الانسان كرامته ويرى قيمته ، و تتجلى له نفسه بذلك حرة كريمة ، وارادته من القيود مطلقة. فكان له من الحق ما للحر على الحر ، لا رفيع في الحق ولا وضيع ، ولا سافل ولا عال ، ولا تفاوت بين الناس الا بتفاوت اعمالهم ، ولا تفاضل الا بتفاضلهم في عقولهـــم و معارفهم (۱۷).

ـ و منها الا نفة ، والاعتماد بالنفس ، و ذلك لان التوحيد يرتفع بالانسان من حضيض الذل و الهوان ، والضعف و العجز ، والاستجداء والتطفل والاستعانه و التوسل ، و ينفخ فيه روح الانفة والعزّة ، و ينادي عليه حتى يثور و يحطّم سلاسل سلطات الاوهام و يخلّص نفسه من انسجة العناكيب ، التي نسجها عليه التطورات الكاذبه والظنون الباطله .

فالمومن في المجتمع القرآني جيل عظيم لا يتضعضع لريب الطواغيت ، ولا يركع امام الجبابرة ، ولا يخضع للمتكبرين والمتفرعنين ، " اشدّاء على الكفار رحماء بينهم (۱۸) فهو لا يذل في مقابل ذوي الثروات طمعا في مالهم ، ولا ينسى كرامته عند ذوي الجـــاه

لمنزلتهم ، اذيعتقد ان لارازق الا ا . . .ولا حكم إلّاله(١٩) . . . يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر(٢٠) فهناك يرجع الانسان الى نفسه و يفتح عينه فيترقع عن كل مايد نّس اذيال عزته و حريته ، و يبتعدو يتجنب عن كل ماتوسل اليه من العوامل الكاذبه والاسباب الظاهره الخدّاعة ، فيتوكل علىا . . . ويعتمد على نفسه و يتكى على عمله و يشق طريقه الى الامام ، فالنصر حليفه والامل قرينه .

ـ و منها القضاء علىاليأس و القنوط ، ذلك ان الانسان مالم يتحرر من سيطرة العوامل والاسباب الظاهرة وسلطة الاوهام والظنون الفاسدة ، ولم يسبح فى بحارالتحرير التوحيدى ،لا يتخلص سلاسل الياس والقنوط ولا يعتق من ربقة هذا العدّوالغاشم .فان العوامل مهما توافرت ، وان الاسباب مهما تضافرت ، وان الاصحاب مهما تكاثرت ، فلربّما لايحصل الانسان منها على مايتمناهُ ، تكون النتيجة منها النيل والنجاح بل الحاصل للشخص هوالخيبة والفشل . فهناك يكشف الياس والقنوط عن وجهه الكريه للانسان ، و يسوقه الى الضعف والهوان و يسيطر عليه الذلّ والهزيمة والتسليم .

أمّا الانسان المعتنق لمبداء "التوحيد" فهو لايعرف الياس والقنوط ، ولا يفارق قوة القلب و طمانينة الروح ، وان تقطعت اسبابه و فشلت حيله . لانه يعتقد أنّ : "يدا . . . فوق ايديهم(٢١)" وأنّا . . . لايخاذله ابدا ، وانه يجيب دعوة الداعى اذا دعاهُ ، فاذن يصبرويستقيم ويقاوم واثقا بعونا . . . و متوكلا عليه ، فلا يخضع ولا يركع ولا ييأس ولا يتزعزع ، و يتذكر الايات التالية :

ـ "إني توكّلت علىا . . . ربّى وربّكم(٢٢)".

ـ "ألا بذكرا . . .تطمئنّ القلوب(٢٣)"

ـ "انه لاييأس من روحا . . .إلّا الكافرون(٢٤)".

ـ و منها الجرأة والشجاعة ، لِأنّهُ لمّا علم انه لامؤثر فى الوجود إلّاا . . . ،وانه يحييه و يميته ، و يمرضه و يشفيه ، و "له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر(٢٥)" رتفع نفسه الى العزة والاباء والاستشهاد ، و مغادرة الخوف و الجبن فى وجه الطواغيت والاقوياء .

رأى الاستاذ المودودى ان الهلع والجبن فى الانسان يرجعان الى امرين :

١ـ حبه لنفسه واولاده وامواله .

٢ـ خوفه لاعتقاده الباطل القائل بان مجرد الاشياء التى يستخدمها كآلات فيما يشاء من اغراضه ، هى فى ذاتهاقادرة على نفعه و ضرّه . فالايمان با . . . يطهر قلب الانسان من هذا الحب و هذا الخوف(٢٦)".

اما بالنسبة الى ذلك الحبّ فالقرآن حور القلوب منه ولم يترك له فيها امام حب ا . . . موضعا :

" قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و عشيرتكم ، واموال اقترفتموها وتجـــــارة تخشـون كسادها ومساكن ترضونها ، احبّ اليكم من ا . . . و رسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي ا . . . بامره ، وا . . . لا يهدي القوم الفاسقين (٢٧) " .

" ان ا . . . اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل ا . . . فيقتلون و يقتلون وَعْداً عليه حقّاً في التوراة و الانجيل والقرآن ، و من اوفى بعهده من ا . . . ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هوالفوز العظيم (٢٨) .

واما بالنسبه الى الخوف من الاسباب و الموثرات الظاهرة فلأنّ التحرير التوحيدي هدم سيطرة كل السلطات الروحية والمادية على قلب الانسان و محاثرها ، فلم يدع لاحد ولا لشي بعد ا . . . و رسوله سلطانا على روحه و سيطرة على نفسه . حتى ان الرسول في نظام الاسلام و شريعته مبلغ و مذكرلا مهيمن و مسيطر ، قال ا . . . تعالى : " فذكّر انما انت مذكّر ، لست عليهم بمسيطر (٢٩) " .

ـ ومنها الجهاد المستمر والسعي الدائم ، وذلك لان من اعتنق مبدأ "التوحيد" آمن بان القوة لله جميعا (٣٠) وان ليس له من دون ا . . . ولي ولا نصير ، و "ان ليس للانسان إلاّ ماسعى ، وان سعيه سوف يُرى (٣١) .

فهناك لا يعتمد على الاسباب والموثرات الظاهره تاركا سعيه وجهده ، ولا يفوّض امره الى غيره طامعا في خيره و نفعه ، بل يستخدم دائما كل قواه في تحقيق مصالحه ، و يبذل كل جهد ،في تحصيل منافعه ،ثم يتكل على ربه فيتقدم ولا ييأس ولا يعجز .

ـ و منها تحسين العلاقات وازدهار المواهب النفسيه ، وذلك لان علاقات المتحرر من سلطات الاوهام مع غيره تلبس ثوبا آخر و تتلون بلون جديد . فهو بعد التحرر لا يعظّم ذوي الجاه خوفا من منزلتهم ،ولا يتقرّب الى ذوي الثروات طمعا في اموالهم ،ولا يحترم الجاهل الغني تواضعا لمقامه ، فلا يحب ولا يبغض رثاء الناس ،ولا يرضى ولا يسخط تبعا للأقوياء ولا يعد وولا يفتك طاعة للجبابرة . فإذا خضع وتواضع اواحب ورضي فليس ذلك لملاحظة الظواهر الخداعة والموثرات الكاذبه ،بل انما يتفجر من القلب والروح و يندفع من الايمان والاخلاص . فتجرى العلاقات في مسيرها الصحيح ، وتتجلّى في شكلها الاصيل ، وتدور في مدارها القويم .

واما ازدهار المواهب فان المومن الموحد لا يفسح المجال للجاهل المستبد ، ولا يترك الميدان للغبيّ المتحكم ، ولا يمهل القوى الاحمق ، ولا يقلب ظهر المجن امام العبث

اللئيم ، فلا يسكت ولا يصمت . فهو يقول ماهوالحق و يبدى ماهوالاصل ، و يشجع اهـــل الفضيلة و يزدرى اهل الرذيلة ، و يحمى ذوى الالباب و العقول ، و يغادر اصحاب الابواق والطبول .

فاذا سادت المجتمع هذه السياسة الرشيدة وانتشرب فيه ، و وجدت العقـــلاء و العلماء و الحكماء به حماة لهم و ارضا خصبا لثمارهم ، ازدهرت المواهب هناك واخضرت ، واثمرت العقول و اورقت .

ـ و منها سعة النظر و عمق المعرفة ، و ذلك لان الانسان لاينظر الى الدنيا الا بمقدار مايتعلق بمنافعه و مايحتاج اليه ، فهو لا يحب ولا يبغض شيئا الا لانه ينفعه او يضره ، فلا يخشى قويا ولا يتكبر ضعيفا الا فى هذه الدائرة الضيّقة .

اما اذا انجلى الليل و ذهبت الغشاوة على بصره ، وانكسر قيد الانانيه والغرور والخداع على رجله ، و تخلص من هذه الدائره الضيّقة ، واعتقد بأنّ " و مامن دابّة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم (٣٢) " ، " بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون (٣٣) " ، وان ا . . . مالك الملك يؤتى الملك لمن يشاء و ينزعه عمن يشاء ، و هو يعزمن يشاء ويذل من يشاء راى هناك نفسه فى عالم كبير لا يدبره ولا يسوسه إلّا ا . . . ، وأنّ جميع مافـى الكون سمائه وارضه ، جباله و سهوله برّه وبحره ، انسه وجنه ، نباته وجماده مسخرات لامره .

فيجد نفسه جزءً صغيرا من هذا العالم يوثر فيه ويتاثر منه ، ويتمتع بما فيه كغيره ويتحمل مسوولية كسائر الاجزاء ، لا تفاوت ولا تفاضل ، لاحرمان ولا استئثار ولا استعباد . و على ضوء هذا النظر " لا يرى فيه شيئا غريبا على نفسه و لكن مستانسا به معرفا عليه ، ولا تبقى مؤاساته ولا محبته ولا صداقته ولا خدمته محدودة بدائرته التى انما وضع حدودها على اعتبار علاقة هذا الكون بنفسه (٣٤) " .

و يمكن أن يعترض شخص على المبداء التوحيدى بانه لم يحرّر الانسان مطلقا بل اطلقه من قفص وادخله فى محبس ، حرّره من آنسجة و قيده فى سلسلة ، و ذلك لان هذا المبداء وان حطم قيود الاوهام والظنون و جميع السلطات و السيطرة على قلب الانسان و روحه ، لكن فرض عليه عبودية الخالق و مسلط عليه هيمنته

فنجيب : ١ـ بان التوحيد يحرر الانسان من السلطات الهائمة الحائرة الغاشمة و يدعوه الى هيمنه خالق قدير : ارباب متفرقون خيرام ا . . . الواحد القهار ؟ (٣٥) " .

٢ـ ان الدعوه الى هيمنه خالق قدير يعطى الانسان الرجاء و الطمانينة ويدفع عنه اليأس و القنوط .

٣ـ ان المبداء التوحيدى لا يربى الشخص على العجز والهوان ولا يجعله اسيرا

ذليلا ، بل يضعه على عرش من القوه والقدره والحريه حينما يذكره: " ان ا . . .لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (۳۶)".

ذلك هوماجاء به القرآن لمبداء الحريه و ما سنّه لها كاصل لا نظير له ولا مثال ، و درسناه في بعض النواحي على قدرالتيسر ، فاذا تركنا هذا المبداء و نتناول الحريه بشكل آخر نرى ان الاسلام وضعها في مجالاتها المختلفه موضعها اللائق بها ، و هيالها مكانا فسيحا ، انزلها في التقدير والاهتمام بشانها موضعا كريما (۳۷).

ففي مجال المدنيّة ، سوى الاسلام بين الرجل و المرأة متزوّجة أم غير متزوجة ، و بين افراد الناس على اختلاف شعوبهم و قبائلهم و طبقاتهم في الاحساب و الانساب ، فجعلهم سواسية كاسنان المشط، فلافضل لعربيّ على عجميّ ولا لعجميّ على عربيّ ، كلكم من آدم و آدم من تراب . قال ا . . . تعالى :

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عندا . . . اتقاكم ، ان ا . . . عليم خبير (۳۸)".

و امافي مجال الدين ، فنرى ان الاسلام سار على اسس سمحة نبيلة و نهج مناهج جليلة ، فلا يرغم احدعلى ترك دينه و اعتناق الاسلام ،ولا يكره شخص حتى يكون مومنا . قال ا . . . تعالى :

" افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين (۳۹)".

وقال ايضا : " لااكراه في الدين ، قدتبين الرشد من الغيّ ، فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ، لاانفصام لها ،وا . . . سميع عليهم (۴۰)".

روى الطبرى (۴۱) عن الضحاك انه قال : امررسول ا . . . (ص) ان يقاتل جزيرة العرب من اهل الاوثان فلم يقبل الا " لااله الا ا . . . " اوالسيف ، ثم امر فيمن سواهم بان يقبل منهم الجزيه ، فقال : " لا اكراه في الدين . . . ".

و قال شيخ الطائفة ،ابوجعفر محمدبن الحسن الطوسى : المراد بذلك لااكراه فيما هودين في الحقيقة ، لان ذلك من افعال القلوب اذا فعل لوجه بوجوبه ،فاما مايكره عليه من اظهارالشهادتين فليس بدين ، كماان من اكراه على كلمه الكفر لم يكن كافرا (۴۲)".

و في مجال التفكير ،نالت الحرية منزلة رفيعة و حظّاً كبيرا في القرآن ،فمن تتبع القرآن راى فيه آيات كثيره يحرض الانسان على التفكير ،وينكر عليه اهماله للنظر والتدبر ، و اعتناقه للتقليد ، وايمانه بالخرافات (۴۳).

و امثال هذه الايات كثيرة في القرآن :

" اولم يتفكروا في انفسهم ، ماخلق ا . . . السموات والارض الا بالحق واجل

مسمّی (۴۴)".

– و" و ما یذکّر الا اولو الالباب (۴۵)".

– "کذلک نفصّل الایات لقوم یتفکرون (۴۶)"

– "ولقد ذرأنا لجهنم کثیرا من الجن والانس لهم قلوب لا یفقهون بها ولهم اعین لا یبصرون بها ولهم آذان لا یسمعون بها، اولئک کالانعام بل هم أضلّ، اولئک هم الغافلون (۴۷)".

و فی مجال القول والانتقاد، جعل القرآن حرّیة القول واجباً علی المسلم فی کل مایمس الاخلاق والمصالح العامه والنظام العامّ، وفی کل مایدخل تحت افاق الامر بالمعروف والنهی عن المنکر، قال... تعالی:

"ولتکن منکم امة یدعون الی الخیر و یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر (۴۸)".

وجدیر بالذکر ان هذه الحریة فی القول والانتقاد فی القرآن لاتخرج عن دائرة الخیر والحق والحکمة.

"ادع الی سبیل ربّک بالحکمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتی هی احسن (۴۹)".

"لا یحب... بالسوء من القول الّا من ظلم (۴۵)".

و فی مجال المناقشات الدینیّة، القرآن اوّل کتاب ینادی بـ" هاتوا برهانکم ان کنتم صادقین (۵۱)".

و یوصی الرسول فی المناقشات الدینیّة بالتزام سبیل الحکمة والطریقة الحسنة. قال... تعالی "ولا تجادلوا اهل الکتاب إلّا بالتی هی احسن (۵۲)".

لقد بلغ القرآن فی مجال الاهتمام بالحریه فی المناقشات الدینیه انه یغری الکفار بالاحتجاج والاتیان بالدلیل علی صحة دینهم و ما اعتنقوه من مبادئه، فجاء فیه:

"ائتونی بکتاب من قبل هذا، او اثارة من علم ان کنتم صادقین (۵۳)".

و فی مجال التعلیم، لم یکتف القرآن بتقریر الحرّیة فیه بل جعل طلب العلم فریضة علی کل مسلم و مسلمة، قال... تعالی:

"فلولا نفر من کل فرقه منهم طائفة لیتفقهوا فی الدین، ولینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم (۵۴)".

و فی مجال القومیة واختلاف اللغة، نری ان القرآن یتناولهما کظاهرة من سنّة الکون و فطرة الخلقة، واودع... فیها فوائد جلیلة و منافع جزیلة تعود علی المجتمع الانسانی بالخیر والبرکة، لما فیها من المعرفه والرقی الفکری والتعاون والتضامن والاخوّة والوحدة. ذلک لأن شان الاختلاف فی مظاهر الکون الذی یعد من ظواهر سنّة الکون، ایجاد

مقتضيات متفاوتة و متطلبات متقابلة تبعث الانسان على النظر والتدبر و بذل الجهد ، و تسوقه الى التعاون والتضامن ،حتى يستطيع ان يحيا حياة كريمة و يعيش عيشة طيبة .

قال ا . . . تعالى : " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى ، وجعلناكم شعوبا و قبال لشعارفوا ، ان اكرمكم عندا . . . اتقاكم ،ان ا . . . عليم خبير (۵۵)".

و قال ايضا : " ومن آياته خلق السموات والارض ،واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين (۵۶)".

فاذا كان اختلاف القوميات و تفاوت اللغات من مقتضيات سنّة الكون وموطنا للرموز والاسرار ، كان من العبث القضاء عليهما ومن الجهل السعي وراء نفيهما .

نعم ان مسألة القوميات واللغات محترمة و مكرّمة في القرآن ماد امت جارية في مجراها الاصيل ولم تنته الى التعصب والاستبداد و الا ستئثار كما نرى عند قوم اليهود و بعض من جوامع البيض.

هذه هي الحرية كما جاء بها القرآن الكريم ، واوصى بها " كتاب احكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير (۵۷) لااستئثار بها لطبقة خاصّة ولاتفريق فيها ،فلا القوى بطلها ولا الضعيف ضحيها ،لا البيض سادتها ولاالسود عبيدها ،لاالغني فيها يقول بملىء ،فيه ولاالفقير ملزم بالصمت فيها ، لا الرجل مستبد بها ولا المراة منعزلة عنها . فلاتجد لهذ ،الحريه في شريعة اخرى مثيلا ولافي نظام آخر نظيرا . "ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور (۵۸)" .

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

منابع

(۱) بنی اسرائیل /۱۰.

(۲) رسالة الاسلام ،العددان: ۵۱، ۵۲ ،ص ۲۶۱.

(۳) راجع: عبدالقادر عوده :الاسلام واوضاعنا السیاسیة ،ص۷۴ـ ۷۶ ، طبع موسسه الرساله.

الدکتور احمد شلبی: السیاسة والاقتصاد ،ص ۲۷ ،مصر.

الدکتور احمد شلبی: مقارنة الادیان ،ص ۲۴۲ـ ۹۲۴۴ الطبعه الثالثه ، مصر.

(۴) الاحزاب ،۵۹.

(۵) احمد حسین: الطاقه الانسانیّة ،ص۸۱ المکتبه العصریه ، صیدا.

(۶) ابن‌تیمیة ،الشیخ الاسلام تقی‌الدین احمدبن عبدالحلیم ،العبودته ص۱۰۱ ، الطبعه الثالثه ، بیروت.

(۷) آل عمران /۵۸.

(۸) ابوالاعلی‌المودودی نظریة الاسلام و هدیه ،ص ۳۰ ، ـ مطبعة دارالفکر.

(۹) النحل /۳۹.

(۱۰) الاحزاب /۱۸.

(۱۱) اعراف /۱۹۴.

(۱۲) الحجر /۲۳.

(۱۳) اعراف /۱۸۸ و یونس /۴۹.

(۱۴) انبیاء /۶۶.

(۱۵) الشعراء /۸۳.

(۱۶) القصص /۶۹.

(۱۷) الشیخ‌الامام: محمدعبده: رسالة التوحید ،ص ۱۵۰ ـ ۱۵۲.

(۱۸) الفتح /۳۰.

(۱۹) عفیف عبدالفتاح طبّاره: روح‌الدین الاسلامی ،ص۸۰ ، الطبعه الثامنه ، منشورات جماعة عبدالرحمان.

(۲۰) العنکبوت /۶۲.

(۲۱) الفتح /۱۱.

(۲۲) هود/۶.

(۲۳) الشوری/۲۱.

(۲۴) یوسف/۸۷.

(۲۵) الرعد/۲۹.

(۲۶) ابوالاعلی المودودی: الحضاره الاسلامیة، ص ۱۵۱، الطبعة الثانیة، دارالعربیه.

(۲۷) التوبة/۲۵.

(۲۸) التوبة/۱۱۱.

(۲۹) الشیخ محمد عبده: الاسلام دین العلم والمدنیة، ۹۸، دارالبلال.

(۳۰) الغاشیه/۲۲ـ ۲۳.

(۳۱) النجم/۳۹ـ۴۰.

(۳۲) الانعام/۳۹.

(۳۳) یس/۸۳.

(۳۴) المودودی: الحضارة الاسلامیة، ص۱۴۰، دارالعربیه.

(۳۵) یوسف/۳۹.

(۳۶) الرعد/۱۱.

(۳۷) الدکتور محمدالبهی: رسالة الاسلام، ص۶۱، العدد الاول للسنه الثامنه.

(۳۸) الحجرات/۱۳.

(۳۹) یونس، ۹۹.

(۴۰) البقره/۲۵۶.

(۴۱) ابوجعفرمحمدبن‌جریر الطبری، جامع‌البیان‌عن تاویل‌القرآن، ص ۴۱۳، تحقیق‌محمود محمد شاکردار المعارف، مصر.

(۴۲) شیخ‌الطائفه، التبیان فی‌تفسیرالقرآن ۳۱۳/۲ المطبعه العلمیه‌فی‌النجف، ۱۳۷۶.

(۴۳) راجع: الدکتورعبدالواحدوافی: حقوق الانسان‌فی‌الاسلام، ص۱۹۸ـ۲۳۰، الطبعه الرابعه، دارنهضه مصر.

(۴۴) الروم/۸.

(۴۵) آل عمران/۷.

(۴۶) یونس/۲۵.

(۴۷) الاعراف/۱۷۹.

(۴۸) آل عمران/۱۰۴.

(۴۹) النحل/۱۲۵.

(۵۰) النساء/۱۴۸.

(۵۱) البقره/۱۱۱.

(۵۲) العنکبوت/۴۶.

(۵۳) الاحقاف/۴.

(۵۴) التوبة/۱۲۲، لیرجع فی الحریة فی الاسلام:

عبدالقادر عوده: الاسلام و اوضاعنا السیاسیة، ص ۲۶۶ـ ۲۷۱.

الدکتور محمد البهی: الحریة فی الاسلام، ص۶۱ـ ۶۲، فی العدد الاول السنه الثامنه من رساله الاسلام.

(۵۵) الحجرات/۱۴.

(۵۶) الروم/۲۲.

(۵۷) هود/۱.

(۵۸) الملک/۳.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی